فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم يستهزئون
به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان أحبار
اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا
عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن
من الأحبار هم المنافقون فقال لهم إنكم إذا مثلهم مثل الأحبار في الكفر
إن الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم
فإن قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم **قلت**
إلى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين
بها والمستهزئين بها **فإن قلت** لم يكونون مثلهم بالمجالسة إليهم
في وقت الخوض **قلت** لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين
والراضي بالكفر كافر **فإن قلت** فهلا كان المسلمون بمكة
حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين **قلت**
لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك
الإنكار لرضاهم الذين يتربصون بكم بدل من الذين يتخذون أو صفة
للمنافقين أو نصب على الذم منهم **يتربصون بكم** أي ينتظرون بكم ما يتجدد
لكم من ظفر أو خذلان ألم نكن معكم مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة **ألم**
نستحوذ عليكم ألم نغلبكم من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم
من المؤمنين

من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم
ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا
مما أصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب بإضمار أن قال الحطيئة
ألم أك جاركم ويكون بيني — وبينكم المودة والإخاء
فإن قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا
قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن
ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه
وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها
يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطال
الكفر **وهو خادعهم** وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع
حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار
في العقبى ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب
دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع
منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم
ثم يطفى نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم
كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران أي
يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا عن كره لا عن طيبة
نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة
ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1